الدعوة الى الحق والدعوة الى الباطل

(٢)

المحاضرة الرابعة والثلاثون لفضيلة الشيخ سليمان المدني

قلنا في العدد الماضي هل هناك نص صريح من آية محكمة أو سنة متواترة أو إجماع من المسلمين على حرمة زيارة القبور حتى يكون مخالف هذه الفتوى مبدعاً في الدين أو مرتكباً للكبيرة أم أنه اجتهاد في المسألة بني على نصوص يعتقد المفتيء بموجبها أنه يفهم من ظاهرها أو من تاويلها حرمة زيارة القبور فتحرم زيارة القبور عليه وعلى متبعيه ، لكن هل له أن يبدع المسلمين ويكفر المسلمين أو ليس أن من اجتهد في مسألة فقد أباح لغيره أن يجتهد في قبالة وكذلك ما يحدث من بعض المسائل الشقاقية بعض جهلة الشيعة في بعضهم البعض بسبب اختلاف الفقهاء في مسألة ما ..

مثل هذه الامور ليست دعوة الى الحق . يجوز لك أن تعمل بقول الفقيه الذي تعتقد ما دمت ليس بفقيه ويجوز لك أن تدعو الى العمل بفتواك إذا كنت فقيهاً ولكن ليس لك أن تبدّع من عمل بغير فتوى مقلدك أو بغير فتواك إن كنت فقيهاً ما دامت هذه الفتوى ليست من ضروريات الدين وليست مما ثبت بنص محكم من الكتاب أو سنة متواترة أو إجماع من الامة .

اى مسالة من ضروريات الدين هي تلك التي تكون في مجال الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .. أضرب مثلاً .. ذبيحة المخالف مثلاً ، اتباع محمد بن عبد الوهاب يرون ذبيحة من خالفهم خاصة إذا كان الذابح شيعياً .. هل له مثلاً ان يكفر الاحناف أو الشوافع إذا خالفوهم في الفتوي .. لا .. لو فرضنا مثلاً بعض فقهاء الشيعة يمنع ذبيحة الكتابى وبعضهم يسمح بذبيحة الكتابى . (هذا فرضاً فلا يوجد مسالة هكذا .) فلو فرضنا ان المسالة خلافية بين فقهاء الشيعة ووجدت شيعياً أكل ذلك اللحم الذي بموجب اجتهادي إن كنت فقيها او بموجب تقليدي إن كنت متبعاً حرام هل لي أن احكم بفسقه «طبعاً لا ما دامت المسالة ليست بنص محكم في كتاب الله وليست بسنة متواترة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم تحصل عليها إجماع الامة فالدعوة اليها على نحو تفسيق المخالف وتكفيره دعوة صنمية وليست بدعوة إلهية .

إذن لابد أن يعرف ما هي شريعة الله حتى يدعو الى الله وما هو السبيل الذي يريده الله وما هو الطريق الذي يضعه الله لانبيائه ورسله حتى يكون ماذوناً له في الدعوة الى الله .. هذا بالنسبة الى الصفات التي يتحلى بها الداعية وبدون شك لا تحتاج الى التحدث عن صفات الدعوة الحقيقية أو دعوة الحق .. فدعوة الحق ليست إلا دين التوحيد الخالص يقتضي توحيد العباد وتوحيد كلمة العابدين لله سبحانه وتعالى اما مجرد الاعتقاد بأن الله واحد من دون ان نعتقد بان المؤمنين امة واحدة لا يتم بذلك توحيد .. لا نكون مخلصين في التوحيد «إن هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون» فإذا توحيد المعبود يقتضي توحيد الامة وتوحيد الكلمة والذين يفرقون كلمتهم والذين ياخذون دينهم شيعاً .. يقول الله سبحانه وتعالى لنبيه «لست منهم في شيء» يعني إنك بريء ممن دعا الى فرقة وممن دعا الى تشتيت لانه ما لم يعتقد بان لكل المسلمين من الحق مثلما له وان عليه من الواجبات مثلما عليهم وانه ليس بافضل منهم وليس باقرب الى الله سبحانه وتعالى منهم فإنه لا يكون في الحقيقة داعياً الى الله وإنما داعياً الى هوى في نفسه يدعوه ابرازه ان ينطق بكلمة التوحيد لانه لا مجال له لكي يروج ما عنده إلا عن طريقها .. الدعوة الى الله تعالى تقتضي أيضاً الإلتزام بدين الله اما أن يدعو الناس الى الخير وهو لا يعمل الخير «الذين يامرون الناس بالبر وينسون انفسهم» هذا في الحقيقة لا تكون دعوته دعوة الى الله لان الإنسان عليه قبل أن يدعو غيره الى الله أن يدعو نفسه وان يحاسب نفسه وان يوطن نفسه على عبادة الله وطاعته وان يتحلى باخلاق الله وان يتحلى باخلاق انبيائه ورسله حتى يكون إسلاميا يمشي على الأرض فيكون سلوكه ويكون عمله في حد ذاته لسان يدعو .. واما لو كان يدعو بلسانه ويخالف بفعله وسلوكه فلا شك ان هذا يؤثر على ذلك الدين الذي يدعو له ومن اجل ذلك نجد ان الله تعالى اختار انبياءه من افضل خلقه .. اختار انبياءه افراداً لم يعثر عليهم حتى في طفولتهم بارتكاب الكبائر والموبقات مما ينافي الأخلاق البشرية حتى لا يعاب عليهم حين الدعوة وإلا لقالوا لهم انتم مثلنا تعملون ولا نراكم بخير منا في هذا السلوك .. كيف يدعو مثلا الى الصدق من ديدنه الكذب وكيف يدعو الى الأمانة من شانه الخيانة ، لا شك انه لا يصدق فيما يقول فمتى يكون الإنسان داعياً الى الله مقبول القول عند الله تعالى مقبولا عند خلق الله ينبغي ان يتحلى باخلاق الله وان يجاهد نفسه في العمل باحكام الله قبل ان يجاهد غيره في العمل باحكام الله وإلا لكان من الآمرين بالمعروف الفاعلين للمنكر ولا شك ان من يرتكب المنكر لا يقبل منه مرتكب المنكر الآخر نهيه له عنه او دعوته الى المعروف ومن اجل ذلك قال الصادق «كونوا زينا لنا» ومعنى «زينا لنا» ان تكون اخلاقكم وافعالكم وسلوككم بحيث ان من يخالفنا يرى فيه السلوك الفاضل والاخلاق الفاضلة فهو يحب ان ينتمي الى هذه الجماعة ويحب ان ينتسب اليها اما إذا لم يكن بهذه الحال فهو شين عليهم «عليهم السلام» فإذا لابد في الدعوة الى الله تعالى من مجاهدة الانسان نفسه قبل ان يجاهد غيره وان يحاسب نفسه قبل ان يحاسب غيره وان يدعو نفسه الى الخير قبل ان يدعو غيره .. ولا اعني بذلك انه يجمد نفسه حتى يكون ككبار الصحابة والتابعين ولكن عليه وهو يدعو غيره الى الله ان يدعو نفسه قبله وان يلتفت الى ما عنده من المصائب ومن الأخلاق الذميمة والى السلوك المنحرف قبل ان يلتفت الى سلوك غيره واخلاق غيره .

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين .

●● بعد ذلك فتح المحاضر المجال امام الحاضرين للاسئلة حيث طرحت عدة اسئلة حول موضوع المحاضرة نختار بعضاً منها :

●● ربما فهم البعض أنكم ترون ضرورة التوقف عن الدعوة حتى يكون فقيها أو هناك اماما غير متيسر للغالبية من الناس في أحكام الشريعة الاسلامية .. أرجو توضيح ذلك ..؟

□ قلت اننى لا اقصد ان يتوقف المسلم عن دعوة اخوانه المسلمين الى العمل باحكام الله ولكن قطعاً الجاهل الصرف الذى لا يعرف ما هى احكام الله كيف يتمكن من الدعوة الى العمل باحكام الله ولذلك قلت انه ينبغي له وهو يريد أن يضع نفسه موضع الداعين الى الله أن يتعلم احكام الله .. أن يدرس أحكام الله حتى يدعو الى الله على بصيرة ، ان الله سبحانه وتعالى انما مدح نبيه في كتابه وأوحاه ايضاً بذلك المدح فقال سبحانه وتعالى «قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني ، فإذاً حتى الذين يتبعونه ينبغي ان تكون دعوتهم الى الله على بصيرة لا على جهل فإن الجاهل كما قلنا ما يفسده اكثر مما يصلحه يصفه النبي (ص) بانه خابط ليل ، طبعاً الانسان يدعو الى الله ولكن على قدر ما إتاه الله من العلم تكون دعوته ، اما لو أراد أن يضع نفسه ويجعل نفسه في الدعوة الى الله كالفقيه ..طبعاً هذا وضع نفسه في غير موضعه ولو اراد الفقيه أن يجعل نفسه في الدعوة الى الله كالامام المعصوم او النبي (ص) أيضاً وضع نفسه في غير موضعه لا إنني اقول انه ينبغي توقف المسلم عن الدعوة الى الله إلا أن يكون فقيهاً أو يوجد هناك إمام او نبي .. لم اقل ذلك . ولكن اقول يدعو في حدود علمه .. يدعو الى الله في حدود ما علمه من احكام الله لا أن يدعو الى الله بكل ما تخيل انه من احكام الله .

●● ما هو الطريق الذى يمكننا من خلاله توحيد الكلمة والصف في البلد الصغير علماً مع اختلاف المقلدين بتقليدهم في أفراد هذا المجتمع ؟

□ اولا : التقليد انما هو طريق لاخذ الأحكام الشرعية وهو اقل الطرق رتبه من حيث الفرق واختلاف الناس في التقليد لا يقتضي تفرق صفوف الا ان يجعلوا الفقهاء اصناماً يتعصبون لها وإلا فانا اقلد زيد اعمل باحكام من اقلد ، مالي ولشان الناس قلدوه ام قلدوا غيره ما داموا يعملون باحكام الله .. إن الله سبحانه وتعالى من الطرق بعدد انفاس الخلائق فإذا نصبت نفسي داعية الى من اقلد وتعصبت له جاء جاهل آخر ونصب نفسه داعياً الى من يقلد وتعصب له وعندئذ صرت أنا وهو متفرقين بل أثر هذا التفرق بيننا فيمن يحيط بنا من الناس ولا شك ان تقليد زيد او تقليد عمر أو تقليد بكر او تقليد خالد ليس من ضروريات الدين يعني هؤلاء الفقهاء انفسهم لا يقولون انه يجب أن يقلدني كل الناس .. ما من فقيه يكتب في رسالته ذلك ما حاشاهم .. وإنما يضع رسالته ويقول العمل بها مبرىء للذمة إنشاء لله لكن لا يقول ان العمل بغيرها من الرسائل غير مبرىء للذمة فلماذا اتى انا واتعصب له واشدد على من قلد غيره .. لماذا ؟ ماذا اقصد بذلك ؟ إن كنت ادعو للدين فإذا رايت انساناً لا يصلي أنمره بالصلاة بغض النظر عمن يقلد وإذا كان لا يصوم أنمره بالصيام بغض النظر عمن يقلد .. نعم لو قال لي انا اقلد زيد ثم وجدته يرتكب عملاً يخالف فتوى زيد اقول له ياأخي إن ما تعمله الآن مخالف لفتوى من تقلد لاننى احكم عليه لمجرد انه خالفني في التقليد انه ليس باخي وانه مخطيء وانه والعياذ بالله فاسق .. هذا هو الذى يسبب التفرقة .. وعندئذ يكون الشيعة مذاهب ليس مذهباً واحداً ، انتم تظنون مثلاً المذاهب الاسلامية الاخرى تختلف في العقائد .. مذهب الشافعي مثلاً مذهب ابو حنيفة مذهب احمد الأوزاعي .. هي مذاهب فقهية كونت بسبب التشدد لها والتعصب لها كونت مجموعات مغلقة على انفسها .. كل مجموعة مغلقة على انفسها عن المجموعات الثانية .. إذاً نحن ايضاً سرنا في هذا الطريق .. فكروا مثلا ان غير الشيعة بعد هؤلاء العلماء الأربعة حرموا الاجتهاد وعلى انفسهم وحرموا الفقاهه على انفسهم ومنعوا من تقليد غير هذه الأربعة .. نحن الشيعة لم نحكر الاجتهاد على انفسنا ولم نحكر الفقاهة على انفسنا فمعنى ذلك إذا كنا نرى لكل واحد منا .. التعصب لمن يقلده .. نكون مذاهب لا عدد لها ولا حصر .. من منا يرضى بأن يكون كذلك ؟ وهل هذا يرضي به الله سبحانه وتعالى أم حتى هذا الذى نحن نتعصب له وننشد في ذلك يرضي منا أن نفعل ذلك ..

●● ألا ترى أن خط ولاية الفقيه هو الحظ الذى يمكن من خلاله توحيد كلمة المسلمين ؟

□ لو كان كذلك .. لو انها مسالة من ضروريات الدين لكان ذلك نعم ولكن وهي موضع خلاف بين الفقهاء لا ينبغي لأحد أن يعيب الآخر لانه قال بها أو لانه لم يقل بها وإنما عليه إذا كان عامياً لم يصل الى درجة الفقاهة والاجتهاد ان يتبنى فتوى مقلده فإن كان مقلده يقول بولاية الفقيه .. إذا هو ايضا صار فقيه وتوصل بأدلته الى ان يقول بولاية الفقيه وهم مختلفون في حدودها سعة وضيقا حتى القائلون بولاية الفقيه أيضا ليسوا على قول واحد فيها بل يختلفون سعة وضيقا ويختلفون دليلاً ومدركاً كما أن القائلين بعدم ولاية الفقيه يختلفون دليلاً ومدركاً ويختلفون أيضاً سعة وضيقاً فإذا مسالة من هذا النوع تكثرت فيها الاجتهادات وتباينت فيها الاقوال تكون موضعاً مثلاً للتفسيق والتشديد .. اى مسالة كانت ما لم تكن من ضروريات الدين لا ينبغي أن تتخذ نبراساً للإيمان والفسق .

●● ما هو رأيك في انتقادات الفقهاء لبعضهم البعض التي قد تصل أحياناً لدرجة التكفير ؟

□ انا لحد الآن ما وجدت فقيهاً كفر فقيهاً ينتقد الفقيه في ادلته في قوله باعتبار انه يخالفه في القول ويقول عنه مخطيء ولكن لا يقول عنه فاسق فضلاً من ان يقول كافر والعياذ بالله ولكن إذا اختلف معه في دليل المسالة او في نتيجة الدليل قال عنه انه مخطيء ولا شك ان مذهب الشيعة مبني على التخطئة وليس مبنى على التصويب لأن الشيعة يعتقدون أن لله في كل واقعة حكم وعلى الحكم دليل اصابة من اصاب واخطاه من اخطا واما غير الشيعة فيذهبون الى التصويب .. منهم من يقول كل مجتهد مصيب ومنهم من يقول ان للمخطيء اجر وللمصيب اجرين مثلاً .. هذا عند من يقول بالتخطئة حتى من يقول من اصاب فله اجران ومن اخطا فله أجر ايضاً يقول بالتخطئة .. على كل حال ان الشيعة معروفون انهم مخطئة ولكن ليسوا مفسقة ومكفرة .. نحن لا نكفر من خالفنا في كثير من اصول المذاهب فكيف يكفر فقيه آخر يتفق معه في كل العقائد .. نعم إذا اختلف انسان معنا في عقيدة من العقائد إذا كانت تلك العقائد من أصول المذاهب

قلنا انه ليس شيعي ، وإذا كانت تلك العقائد من اصول دين الاسلام المجمع عليها بين المسلمين قلنا أنه ليس مسلم واما ان يختلف فقيه مع فقيه في مسالة لا يفسقه ولا يكفره .. والى الآن لا يوجد فقيه فسق فقيها او فقيها كفر فقيها .

●● هل من الضروري ليس «البوشيه» إذا كانت الفتاة متحجبة ؟

□ يختلف الفقهاء في قضية وجوب ستر الوجه وعدمه فالمشهور بين فقهاء الشيعة انه يجب على المرأة ستر وجهها .. منهم من يقول وجوباً أصلياً ومنهم من يقول وجوباً احتياطياً وهناك من الفقهاء من يقول لا يجب عليها ستر الوجه الذى يغسل في الوضوء بشرط أن لا تكون في الوجه زينة من خارجه .. يعني ليس فيه ذهباً ولا بودره ولا اصباغا ولا كحلا فإذا كان كذلك يقولون لا يجب ستره .. بعضهم قال كصاحب الحدائق رضوان الله عليه .. وبعض الفقهاء المعاصرين أيضا يقولون إذا لم يكن في وجه المراة زينة من خارجه لا يجب ستره بقدر ما يجب غسله في الوضوء لا مطلق الوجه .. لكن المعظم من فقهاء الشيعة يقولون بوجوب ستره .

●● زواج الشيعي من السنية وزواج السنى من الشيعية له الأثر في وحدة المسلمين فلماذا لا نرى استجابة لهذا الأمر ؟

□ في البلدان الاسلامية الأخرى موجود الزواج بكثرة ولم يتوجد التوحد .. فنحن نجد التفرق بين الاخ وأخيه لا بين الزوج وأهل زوجته .. وأن السائل يعني لا أدرى كيف وجه هذا السؤال ونحن نجد عكس ..

أخوين من أب واحد وأم واحدة يختلفان في الأفكار فيمتشقان الحسام ويعلن كل منهما كفر أخيه ويعلن كل منهما فسق أخيه ..على أى حال أن هذه المسالة فقهية أيضاً يختلف فيها الفقهاء .. موضع الاتفاق أن الناصبية لا يجوز زواجها وليست السنية ، وأن الناصبين

»

« لا يجوز تزويجه وليس السني .. هذا هو موضع الاتفاق وما زاد على ذلك فهو موضع خلاف بين الفقهاء .. وأنا أريد أن أفهم السائل أنه لا يوجد في الكتاب لفظة سنيي مطلقاً ومن يدعي أن في كتاب الله لفظة سني مقابل شيعي يأتي بها .. في كتاب الله لفظة شيعي فقط لا يوجد لفظة سني .

●● هل يشترط ان يكون الداعية عاملا بما يأمر به .. اذا كان نعم اذا لا يحق للعالم الذى يحوى الكثير من العلوم ان يدعو لهذه العلوم مادام هو غير عامل بهذه العلوم غير متأدب بها ومجسدا على نفسه ؟

□ طبعا لو كان يعلم ويتعمد عدم العمل فدعوته هباء .. اذا كان يعلم بالحكم الشرعي ويتعمد تركه ثم لا يتوب فدعوته هباء .. الناس تعيبه :

يا أيها الرجل المعلم غير هلا لنفسك كان ذا التعليم

فاذا لا شك ان من يعلم الحكم ويتعمد تركه مع الاصرار على ذلك التعمد .. الناس لا تتقبل منه تلك الدعوة .

●● ما حكم من يدعو الى الخير وينهى عن المنكر في المجتمع .. وفي داخل بيته له أخ أو أخت منحرف أو منحرفة عن الخط الصحيح .. وهو صارف النظر عن هذا الأخ أو الأخت ومتجها لهداية الناس فقط .. ؟

□ لا شك ان الحكم على الناس بهذه السهولة هو الذى سبب الكثير من المتدينين بحصول الاثام لانك كيف تحكم عليه بانه لم يدع اخته للتوبة والالتزام ومن اين علمت انه راض بفعلها غاضا النظر عنهما وكيف دريت انها تطيعه وهو لم يقل لها وانه تركها منحرفة وجاء الى الناس يدعوهم الى الخير .. الحكم على الناس بهذه السهولة مدعاة الاثم وليس مدعاة النقد يعني النقد يجب ان يكون بناء ولذلك يقول النبي ﷺ : «المؤمن مرآة اخيه المؤمن» يعني يأمر النبي ﷺ المؤمنين اذا راى أحدهم عيبا في الثاني ان يذهب اليه وينبهه على هذا الخطأ الذى حصل منه .. على هذا العيب .. حتى يكون قد امر بالمعروف ونهى عن المنكر وانه حفظ حرمة اخيه ، ولكن لو تكلم عليه في غير حضرته يكون قد اغتابه وحصل اثم الغيبة .. بينما اذا ذهب اليه ونبهه يكون قد حصل ثواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وافاد اخاه .. لان الأخ عندئذ لا تستنكف نفسه عن الطاعة . اما اذا حكم عليه بهذه السهولة واخذ ينتقده ويشينه أمام الناس فهو بالاضافة الى انه قد اغتابه اصبح من الذين قال الله فيهم «يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا» .

وعلى اي حال فان الحكم على الانسان بانه ترك اخته أو ابنته أو غير ذلك وهو قادر على ذلك بهذه السهولة الا يكون مطلعا عليه .. مطلعا على خفايا .. هذا امر آخر ، فاما بمجرد ان لهذا المؤمن اخا فاسقا أو اختا منحرفة او ابا او اما احكم عليه بانه قادر على ردعهم ولم يردعم .. هذا امر عظيم .

●● ما هي شروط الداعي لله ، وهل تعتمد في القوم اذا كان معظم القوم فسقاء على القلة أو الكثرة ، وبماذا تفسر دعوة الامام الحسين (ع) مع العلم انه خرج ويعرف انه سيقتل ؟

□ دعوة الحسين (ع) تختلف عن الدعوة التى يمارسها سائر الأفراد والعلماء والحسين (ع) خرج لانه بويع .. خرج كما في الرواية لان يزيد بن معاوية لعنه الله دس ثلاثين شيطانا من شياطين بني امية في الحج ليقتلوا الحسين ولو كان متعلقا باستار الكعبة ، وان النبي ﷺ قال :

«لهذه الكعبة كبش تستباح به حرمتها» فلما علم بانه يغتال في مكة وان حرمة البيت سوف تستباح به خرج من مكة .. اضافة الى الكتب التى وردته من العراق بانه ليس علينا إمام

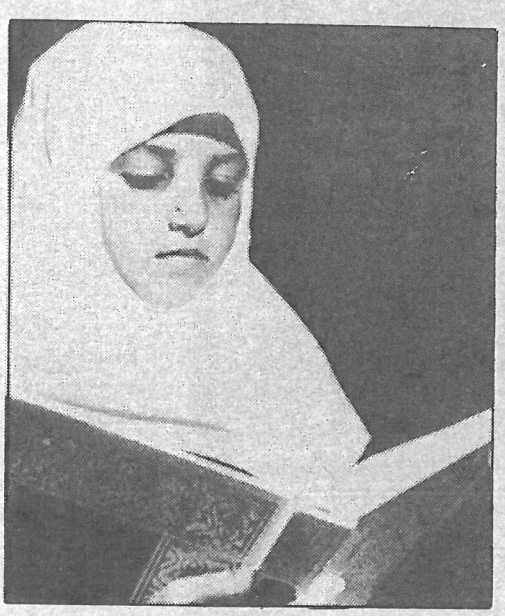

وانا نرضاك اماما واننا لامرك متبعون ولقولك سامعون .. فخروجه الى كربلاء في ظاهرها كانت جارية وفق الأمور والأسباب العقلانية من جهة ما علم الانسان بأن هناك من يتربص باغتياله في هذا الموضع وعلم الانسان بوجود الراغبين الطالبين من الأنصار في ذلك الموضع وهذه أسباب عقلانية في الظاهر تستدعي الانسان الى الخروج من مكان موت محقق الى المكان الذى فيه القدرة على التأثير وان كان علمه عليه السلام بأنه يقتل ..

لكن هنا علم خاص به ومن أجل ذلك فحتى مع خطبته تلك تبعه آلاف البعض الذين يحبون ان يكونوا رجال دولة وانصار سلطان ومتامرين على الناس ـ لكنه لما حوصر عليه السلام في

ذي حشب وبلغه مقتل مسلم بن عقيل تراجعوا عنه .. فاسباب مظهر خروجه عليه السلام كانت جارية على الأسباب العقلانية بين البشر ، أما شروط الداعية لله أن يكون مؤمنا مخلصا لله وعليه بقدر الامكان ان يدعو نفسه قبل غيره وعليه بقدر الامكان ان يحاول تحصيل المعارف والعلوم الإلهية لا أن يتوقف عن الدعوة الى الخير فإن هذا واجب كل مسلم .

بيت القرآن

أنجز بفضل تبرعاتكم
ولم يبق إلا القليل

كن واحدا من :

100 مؤسسة تتبرع الواحدة منها بـ 1000 دينار
200 فرد يتبرع الواحد منهم بـ 250 دينار
1000 فرد يتبرع الواحد منهم بـ 100 دينار

للاستفسار والتبرع :
● اللجنة الخاصة : هاتف 528201 صباحا ـ تلكس 8599 بي إن فاكسميلي 245368 ـ ص ب 1000 البحرين
● الدكتور عبداللطيف كانو : هاتف : 528201 صباحا ـ تلكس 8599 بي. أن فاكسيملي 245368 ـ ص ب 802 المنامة ـ البحرين